مجلة كلية الآداب. جامعة الإسكندرية . المجلد ٧١ . العدد ١٠٣ .

الموضوعية فى فلسفة العلم النسوية

Objectivity in The Feminist Philosophy of Science

إعداد

د. قطب عبد الستار خليل مرعى

ملخص

لقد اتخذت الابستمولوجيا النسوية موقفاً نقدياً من المفاهيم العلمية، كالموضوعية وغيرها، رافعة لواء العصيان على المفاهيم العلمية التقليدية، التى أصبحت لا تلائم مسار العلم والابستمولوجيا العلمية، حيث كان العلم مرتكزاً على مجموعة من الممارسات والمفاهيم لاسيما مفهومى الموضوعية والعقلانية، واعتبار النسوية لهذين المفهومين أساس لكل نظرة ذكورية فى تاريخ العلم، حيث تم توظيف الموضوعية والعقلانية توظيفاً أيديولوجياً لتدعيم هذه النظرة، كما أصبح ارتكاز العلم على منهج واحد ومنطق واحد وهو أمر غير ملائم للاهتمامات والأبحاث العلمية، مما دفع الابستمولوجيا النسوية إلى لفت الأنظار للحاجة إلى منهج علمى يضع فى اعتباره القيم والاهتمامات، حيث الاعتماد على منهج علمى واحد يضفى على العلم سمة الاكتمال النهائى وهذا أمر مستحيل . وذلك لأن العلم يحمل الصفة التقدمية، من ثم زعزعت الابستمولوجيا النسوية الثقة فى العلم الذكورى وأضافت صياغة جديدة لهذه المفاهيم وكافة الأسس التى كانت مرتكزة عليها كالموضوعية وغيرها.

أحاول فى هذا البحث أن أوضح عدم صحة بعض المقولات التى ذهبت إلى القول بأن المرأة ليس لديها القدرة على تقديم مفاهيم وتصورات وأحكام علمية دقيقة، بحجة أن المرأة لا تقدر على الفصل بين ما هو ذاتى وموضوعى، كما أنها عاجزة على أن تكون موضوعية، وبالتالى فهى غير قادرة على الاستنتاج العقلى السليم، وذلك لأنها تعتمد على العاطفة والانفعال. لهذا وجه الاتجاه النسوى فى فلسفة العلم عدة انتقادات لهذه المقولات، وقدم بدائل معرفية نسوية تعكس وجهة نظر المرأة فى سياسة وممارسة العلم، ومن بين هؤلاء الفيلسوفات التى قدمن رؤية جديدة فيلسوفة العلم ذائعة الصيت ساندرا هاردنج، وإيفلين فوكس كيلر، وهيلين لونجينو، وذلك من خلال تناولهن لمفهوم الموضوعية فى فلسفة العلم.

Abstract

Feminist epistemology has taken a critical position on Scientific concepts such as objectivity and others, raising the banner of disobedience to traditional scientific concepts that have become incompatible with the course of science and scientific epistemology , as science was based on a set of practices and concepts ,especially the concepts of objectivity and rationality, and feminist considered these two concepts as the basis for every male view in the history of Science. Where objectivity and rationality were employed ideologically to support this view, just as science became based on one approach and one logic, which was not appropriate for scientific interests and research, which prompted feminist epistemology to draw attention to the need for a scientific method that takes in to account the values and interests where relying on a single scientific method conferring on Science is a feature of final completion, and this is impossible, because science bears a progressive characteristic , and then feminist epistemology undermined confidence in male science and added a new formulation of these concepts and all the foundations on which they were based, such as objectivity and others. In this research, I try to explain the inaccuracy of some of the statements that went to say that women do not have the ability to present accurate scientific concepts, perceptions and judgments on the pretext that women are not able to separate between what is subjective and objective, as she is unable to be objective, and therefore she is unable to the correct mental conclusion, because it depends on emotion. For this reason, the feminist trend in the philosophy of science drew several criticisms of these statements and presented feminist alternatives that reflect the viewpoint of women in the politics and practice of science. Among these philosophers who presented a new vision were the philosophers of science Sandra Harding, Evelyn Fox Keller and Helen Longino, through their approach to the concept of objectivity in the philosophy of science.

مقدمة

تُعد النُسوية من أكثر الحركات إثارة للجدل فى القرن العشرين، وبأن تأثيرها يظهر فى كل جوانب الحياة الاجتماعية والسياسية والثقافية فى مختلف أنحاء العالم ، حيث أصبحت ملمحاً مألوفاً من ملامح الخريطة الثقافية(١).

والفلسفة النسوية هى الفلسفة التى تهتم بمناقشة الاهتمامات الفلسفية التى ترفض تحديد identify الخبرة الإنسانية بالخبرة الذكورية . لذا رفضت الفلسفة النسوية وجهات النظر التقليدية فى الفلسفة على أساس أنها فشلت فى التعامل بجدية مع اهتمامات المرأة والهويات والقضايا، وفى التعرف على أساليب المرأة فى الوجود والفكر(٢).

من هنا جاء الاهتمام المتزايد بالفلسفة النسوية فى الثلث الأخير من القرن العشرين، وذلك لما تثيره هذه الفلسفة من إشكاليات فلسفية ومعرفية جديدة، وأصبح للمرأة بفضل هذه الفلسفة، رؤية جديدة بلورتها بعض المنظرات النسويات على شكل مذهب عُرِف باسم المذهب النسوى Feminism والذى أطلق على الفكر المؤيد لحقوق النساء والداعى لتحريرهن من القمع الذى تمارسه السلطة الذكورية ضدهن، وقد بدأ فى أوروبا فى أواسط القرن التاسع عشر كجزء من الخطاب التنويرى، ثم انتقل إلى أمريكا. ويتضمن الاصطلاح تعريف النساء بأنهن مقموعات بصورة دائمة ومنتظمة وأن علاقات الجنوسة (العلاقات ما بين الذكور والإناث) ليست ثابتة ولا يصح أن

---

(١) سارة جمبل: النسوية وما بعد النسوية (دراسات ومعجم نقدى) ، ترجمة أحمد الشامى ومراجعة هدى الصدة، المجلس الأعلى للثقافة، القاهرة، ٢٠٠٢، ص١٣.

(2) **Robert Audi, : The Cambridge Dictionary of Philosophy, Second Edition, Cambridge University Press,1995, P.305.**

See also :Ted Honderich: The Oxford Companion to Philosophy, Second edition, Oxford University Press,2005, P.294- 295.

تدرج فى الاختلافات الطبيعية بين الجنسين، كما يتضمن الاصطلاح أيضاً الالتزام السياسى بتغيير أوضاعهن نحو الأفضل(١).

وقد انحصرت مهمة المذهب النسوى المعرفية والمنهجية فى نقطتين هامتين هما:

الأولى: إلقاء الضوء على التاريخ المستبعد فى الفلسفة والعلم نتيجة التحيز الذكورى.

الثانية : تقديم نظريات ورؤى فلسفية خالصة تعكس خبرة فلسفية نسائية مختلفة عن خبرة الرجل الفلسفية(٢).

من هنا انطلقت الابستمولوجيا النسوية من فكرة جوهرية وهى أن هناك تصورات ومفاهيم وممارسات معرفية سادت تاريخ العلم عملت على إعاقة المرأة، بوصفها ذاتاً عارفة ومتميزة ومختلفة، عن تقديم تصورات ومفاهيم وممارسات معرفية نسوية، من بين هذه التصورات والمفاهيم مفهوم الموضوعية.

وتأتى أهمية هذا البحث فى تناول مفهوم الموضوعية فى الفلسفة النسوية من خلال المحاور التالية:

- التصور التقليدى للموضوعية فى فلسفة العلم.
- الموضوعية القوية عند ساندرا هاردنج
- الموضوعية الديناميكية عند إيفيلين فوكس كيلر.
- الموضوعية العلمية عند هيلين لونجينو.

---

(١) خديجة العزيزى : الأسس الفلسفية للفكر النسوى الغربى، ط١، بيسان للنشر والتوزيع والإعلام، بيروت – لبنان، ٢٠٠٥، ص١٧.

(٢) د. خالد قطب: فلسفة العلم التطبيقية، الفلسفة تبحث عن آفاق جديدة داخل العلم، المكتبة الأكاديمية، ط١، القاهرة، ٢٠١١، ص٧٩.

التصور التقليدى للموضوعية فى فلسفة العلم

لقد قامت المنظرات النسويات بالتعبير النقدى حيال ما اعتبره الرجل الغربى مقدس، بل ويرتفع إلى مقام لا ينبغى المساس به، فالموضوعية وكافة المفاهيم العلمية والإبستمولوجية لم تعد نوعاً من التناسق والتناغم المتفق عليه من قبل العلماء، وكذلك الأمر بالنسبة لفلاسفة العلم، فالموضوعية بمعناها الكلاسيكى الذى يعنى الانفصال بين الملاحظ المجرب والظاهرة العلمية، بل على النقيض، أصبح الملاحظ مشاركاً فى الظاهرة العلمية. ومنذ ذلك الحين بدأت المنظرات النسويات معالجة موضوعات العلم، ومحاولة ترتيبها فى نسق فلسفى مميز، فالموضوعية الكلاسيكية لم يعد لها وجود فى ظل التطورات والتحولات الجذرية التى حدثت فى فلسفة وتاريخ وسوسيولوجيا العلم، حيث ترفض المنظرات النسويات مفهوم الموضوعية بمعناه الكلاسيكى سالف الذكر وتقوم بإعادة صياغته كمفهوم من شأنه أن يتناسب مع المباحث العلمية المعاصرة(١).

ومن النسويات اللاتى يرجع لهن الفضل فى تقديم صياغة جديدة لمفهوم الموضوعية فى فلسفة العلم النسوية ساندرا هاردنج **Sandra Harding**، وإيفيلين فوكس كيلر **Evelyn Fox Keller**، وهيلين لونجينو **Helen Longino**.

الموضوعية القوية عند ساندرا هاردنج

رأت "هاردنج" أن مفهوم الموضوعية بمعناه التقليدى كان ملائماً أكثر داخل الفيزياء الكلاسيكية حيث الحتمية والضرورة المطلقان وتفانى العلماء فى تحقيق أكبر قدر من الاستقلالية، غير أن هذا المفهوم الضعيف كما ترى "هاردنج" لا يلائم موضوع البحث داخل الفيزياء المعاصرة حيث النسبية، اللايقين واللاحتمية والتشاركية والحوارية والترابطية والتواصل مع المشكلة موضوع

(١) سارة جمبل: النسوية وما بعد النسوية، مرجع سبق ذكره، ص٤٣٢.

البحث " ففى عالم النسبية تدخل الذات العارفة – بمعنى مواقعها وسرعاتها بأجهزتها للرصد – كمتغير فى معادلة الطبيعة، لتحرز بهذا درجة أعلى من الموضوعية، أو بالأحرى درجة متباينة تماماً، قامت على أنقاض موضوعية نيوتن المطلقة والموهوبة[١].

إن الموضوعية بمعناها التقليدى كما ترى "هاردنج" ما هى إلا حجة لتقديم خبرة وأفكار الرجل، باعتبارهما أساساً للفهم أى فهم العلوم الطبيعية، فالآباء المؤسسون للفكر الغربى قد عملوا دائماً على إثبات أن الرجل أقوى وأصلح من المرأة فى تعريف المبادئ والأفكار العلمية، لذا تُعرف الذكورة فى ضوء الإيجابية والعقل والتفكير، بينما تُعرف الأنوثة فى ضوء السلبية والمادية والجسد واللاعقل، لكن علينا كما يقول الدكتور صلاح قنصوه ألا نتوقف عند الموضوعية بمعناها السلبى، فهى فى نهاية الأمر" غياب" لكل عوامل التحيز، و "كف" لتأثيرها، وذلك لأن الاقتصار على التحديد "السلبى" للموضوعية أمر لا يدعمه المنطق، فالموضوعية العلمية موقف وحكم[٢].

من هنا ترى هاردنج أن المفهوم التقليدى للموضوعية، والذى يعنى تجرد العالم من القيم والاهتمامات والبرامج الاجتماعية يُعد تصوراً ضعيفاً، فالموضوعية لابد من دعمها وتقويتها بضرورة ربط الذات بالموضوع وعدم فصلها عن القيم والاهتمامات الاجتماعية. ومن ثم تتبنى هاردنج فكرة أن المعرفة الموضوعية هى موضوعية العلم والقيم، بالإضافة إلى المعايش الاجتماعية المختلفة، وفى ذلك تقول "هاردنج" لا يمكن أن نعتبر الطبيعة موضوع المعرفة الإنسانية، فموضوعات المعرفة العلمية هى موضوعات اجتماعية"[٣]. بذلك أدركت "هاردنج" أن المعرفة تحتاج إلى الموضوعية القوية **Strong objectivity** وقد لاقى هذا المصطلح القبول لدى فلاسفة العلم

---

(١) د. يمنى الخولى: فلسفة العلم فى القرن العشرين: الأصول، الحصاد، الآفاق المستقبلية، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، ديسمبر ، العدد ٢٦٤، ٢٠٠٠. ص٢١٨.

(٢) د. صلاح قنصوة: الموضوعية فى فلسفة العلوم الإنسانية، عرض نقدى لمناهج البحث، دار الثقافة للطباعة والنشر،القاهرة، ١٩٨٠.ص٥٩.

(3) **Harding, S: Feminism and Methodology; : Social Science Issues, Indiana University Press, Bloomington and Indianapolis,1987, 178.**

المعاصرين، لاسيما بعد نظريتى النسبية والكوانتم. فلم تكن وظيفة العلم أن يقدم الجديد من النظريات الموضوعية وحسب، ولكن اتسعت وظيفته لكى تشمل أبعاد إنسانية أخرى. ومن ثم اقترحت "هاردنج" مفهوم الموضوعية القوية، فى مقابل الموضوعية الضعيفة **Weak Objectivity** .

تنادى "هاردنج" بمنهج الموضوعية القوية، وتعتقد أن منهج الموضوعية القوية سيسمح لنا بكشف القيم والاهتمامات التى تشكل أولاً المشكلات العلمية ، ثم تحدد مفاهيم أساسية، وفروض يتم اختبارها، وخطط بحث **research designs**[١]. فالمناهج الجيدة كما ترى " هاردنج" من المفترض أن تكون قادرة على تحديد القيم الاجتماعية، والاهتمامات، والافتراضات التى يطرحها الباحثون فى عملية البحث[٢]

وما يدور فى خُلد "هاردنج" يفترض انهيار سياقى الكشف والتبرير، منادية بما يمكن اعتباره " العلم" الذى يشمل كلا النشاطين فى الكشف والتبرير، وأنه أحياناً من الصعب أن ترى أين يتوقف أحدهم وأين يبدأ الآخر. ومن وجهة نظر العلم، فبعض الأنشطة فى عملية التبرير ستهدف إلى أشياء تحدث نمطياً فى الكشف. وكما توضح "هاردنج" أن القيم والاهتمامات داخل مجتمع البحث يمكن اضافتها للظاهرة التى يمكن تحليلها بالعقلانية العلمية[٣].

وبالإضافة إلى ذلك، فإن منهج الموضوعية القوية عند "هاردنج" ينادى بالحاجة إلى وضع الذات العارفة على نفس مستوى النقد والخطة السببية **The Knower on The Same Critical, Causal Plane** مثل موضوعات المعرفة[٤]. وتعتقد "هاردنج" أن

(1) **Kourany, Janet: The Gender of Science, Upper Saddle River, NJ: Prentice Hall, 2002, P.345.**
(2) **Harding, S: Objectivity & Diversity: another logic of Scientific Research , The University of Chicago Press, Chicago, 2015, P.33.**
(3) **Kourany, Janet: The Gender of Science, op. cit, P.350.**
(4) Alcoff, Linda and Potter, Elizabeth, eds, Feminist Epistemologies, New York: Routledge, 1993, P,244.

التنظير **Theorizing** من منظور أشخاص مهمشين **Marginalized Persons** يمكن أن يقوم بذلك، وفى الواقع تقترح أن نسأل عن مشكلات البحث، والمناهج والبرامج، وكيف يتم النظر إلى الشخص المهمش؟.

إن الموضوعية القوية عند "هاردنج" لابد أن تنطلق من أسئلة تتعلق بحيوات المهمشين، فإذا ما أردنا عالماً أقل تحيزاً وأقل تشوهاً فلابد أن ينطلق الفكر من الحياة الفردية، من حياة العبيد ، من حياة العمال الذين يعملون فى المصانع، وليس فقط من حياة المديرين والرؤساء، من حياة المنوط بهم مسؤولية الاهتمام بالزوج والأطفال[١] كما ترى "هاردنج" أن تجارب وحيوات البشر المهمشين يمكن أن تمدنا بموضوعات هامة ومختلفة يمكن بحثها والاستفادة منها . كما أن البدء من حيوات هؤلاء المهمشين يتطلب منا أن نستمع إليهم باهتمام، كما يتطلب منا أن نقوم بدراسة نقدية للاعتقادات والممارسات المؤسسية المسيطرة التى أضرتهم بصورة نسقية[٢].

يتضح لنا مما سبق أن حل مشكلة الموضوعية من وجهة نظر "هاردنج" يكمن فى ما أطلقت عليه " الإنعكاسية القوية" **Robust Reflexivity** والتى يقوم جُل اهتمامها على الجماعات المهمشة، فإذا ما أردنا تقوية الموضوعية بمعايير واضحة كما ترى "هاردنج" ينبغى الإنطلاق من داخل حيوات المهمشين والتى سوف تجذب انتباهنا وتمدنا بمعايير تجعلنا ننتبه إلى النسبوية التاريخية والسوسيولوجية للفروض والدعاوى الأكثر تجريدية لعلوم الحداثة، وكيف أن هذه الفروض وتلك الدعاوى قد نشأت دائماً داخل ثقافات معينة فى لحظات تاريخية معينة، لذا فليست كل الفروض والدعاوى العلمية صحيحة على حد سواء، فالشعوب أو الثقافات المختلفة لها اعتقادات وأفكار مختلفة عن الطبيعة والعلاقات الاجتماعية.

---

(1) **Harding, S; Whose Science? Whose knowledge? Thinking from Women's Lives, Cornell University Press, Ithaca, New York, 1991, p.15**

(2)**Harding, S: What is a (Strong objectivity) ? in Alcoff, L and Potter, E, eds, When Feminisms intersect epistemologies in feminist Epistemologies, New York, London, Routledge,1993, p.67.**

إن "هاردنج" تتناول لموضوعية فى ظل ظروف معينة، فالموضوعية لا تكمن إلا فى ظل الظروف والمشروعات الاجتماعية والعوامل السياسية[١] فكثير من النظريات العلمية المختلفة يمكن تفسيرها وتوضيحها بسهولة أكثر من خلال الظروف السياسية والاهتمامات الاجتماعية التى أحاطت بها فى ذلك الوقت، فالتغيرات التى حدثت فى العلم ارتبطت بالتطورات السياسية والاجتماعية التى تعرضت لها المجتمعات العلمية. من هنا يمكن القول أن "هاردنج" بذلك قد أكسبت الموضوعية نزعات اجتماعية بدلاً من دراستها فى ضوء نزعات فِكرية[٢]. كما أخرجت "هاردنج" الموضوعية من الحيادية إلى القيمة الحرة، حيث جعلت الموضوعية فى مسارات متعددة وعدم التقيد بمنهج واحد ووحيد لها. لذلك ترى" هاردنج" أن تطور المعرفة العلمية يقوم على الموضوعية والعقلانية ذات المعايير المتعددة، وكذلك يقوم على مسار مترابط بين القديم والحاضر التى انتقل إليها العلم من خلال ارتباطه بكل المتضمنات الثقافية والاجتماعية والاقتصادية[٣]. وبذلك يتحقق هدف البحث العلمى الذى تراه "هاردنج" يكمن فى القيمة الحرة وليست المحايدة[٤].

يتضح لنا مما سبق أن " هاردنج" قد استعانت بقيم ومبادئ ما بعد الاستعمارية، وذلك لتقوية الموضوعية التقليدية، حيث أنه بداخل الموضوعية القوية تظهر الإمكانيات المعرفية للأفراد والثقافات التى تم تهميشها بدعوى عدم حياديتهم، فالمعرفة لها مصادر مختلفة ومتنوعة وليس مصدر واحد فريد يتمثل فى أفراد ينتمون لثقافات معينة . فإذا كان العلماء فى ظل مبادئ الموضوعية التقليدية قد بدوا لنا غير مهتمين بأصول تحتم عليهم الارتباط بقيم واهتمامات الأفراد،

(1) **Harding , S: is Science Multicultural?: Postcolonialism, Feminism, and Epistemologies, Indiana University Press , Bloomington and Indianapolis, 1998, P,127,**

(2) **Harding, S: Rethinking Standpoint Epistemology: What is a Strong Objectivity in Feminist Epistemologies, op.cit, P. 50.**

(3)**Code , L: What Can She Know? Feminist Theory and The Construction of Knowledge, IthacaN.Y; Cornell University Press, 1991, P,33.**

(4)**Harding , S, Whose Science? Whose Knowledge? op.cit, P. 158.**

هنا لجأت" هاردنج" لفلسفات علم ما بعد ثورة توماس كون التى رأت ضرورة كبيرة فى استناد البحث العلمى على القيم والاهتمامات الاجتماعية. لذا دعت " هاردنج" إلى ضرورة العودة إلى آراء وكتابات كل من "توماس كون" و "بول فيرابند" اللذان أكدا على أهمية التداخل والتكامل بين القيم المعرفية والاجتماعية والأخلاقية، فهذا التكامل والتداخل هو السبيل إلى تحقيق التقدم العلمى. "فالتقدم العلمى عند "توماس كون " ينبغى أن يقوم على عوامل سوسيولوجية وسيكولوجية، وعلى وصف لنسق القيم، والأيديولوجيا . فإذا علمنا قيم العلماء كما يقول " كون" فإننا نأمل أن نفهم المشكلات التى سوف تتعهدهم والحلول التى يصلون إليها(١). من ثم يمكن القول بأن التقدم فى العلم يتحقق من خلال التقارب بين العلمى والاجتماعى، وهذا يتضح من مفهوم كون عن العلم ذاته الذى يتضمن الجانب السيكولوجى والسوسيولوجى والقيمى(*).

أما فيلسوف العلم المعاصر "بول فيرابند" فقد اقترب أيضاً من هذا الاتجاه الذى أدرك أن صدق العلم والمعرفة العلمية لا يعتمدان على مجموعة من القوانين والمناهج العلمية الثابتة، وإنما تلعب الخلفيات المعرفية والاجتماعية والأيديولوجية والمعايير الأخلاقية دورها الفعال فى التفسيرات التى يصل إليها العلماء وفلاسفة العلم للظواهر والنظريات العلمية، فانتفت بذلك مقولة الموضوعية المحايدة فى العلم، كما انتفت فكرة وجود منهج علمى ثابت يتميز بالدقة والصرامة،

---

(1)**Kuhn T: Logic of Discovery or Psychology of Research, in: I, Lakatos & A. Musgrave, Criticism and The Growth of Knowledge, Cambridge University Press, 1970,P.21.**

(*)للمزيد حول القيم وأهميتها عند توماس كون انظر فى ذلك: توماس كون: بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقى جلال، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٦٨، ١٩٩٢، ص٢٥٦– ٢٥٧.

- **Kuhn,T: Objectivity, Value Judgment, and Theory Choice In : The Essential Tension: Selected Studies in Scientific Tradition and Change, The University of Chicago press, Chicago and London, 1977, P.321-322**
- **Hoyningen-Huene: Reconstructing Scientific Revolutions: Thomas Kuhn's Philosophy of Science, Chicago: The University of Chicago press, 1993, P.147-148.**

حيث يقول" إن فكرة المنهج التى تحتوى على مبادئ صارمة لإدارة العملية العلمية تلاقى صعوبة كبيرة عندما تواجه نتائج الأبحاث التاريخية[١]. ومن ثم فإن الفكرة القائلة بأن العلم يمكن له، وينبغى له، أن ينتظم وفقاً لقواعد ثابتة وشمولية، هى فى آن واحد فكرة طوباوية وذات بريق خادع. وعلاوة على ذلك، فإن فكرة كتلك مضرة بالعلم، لأنها تهمل الشروط الفيزيائية والتاريخية المعقدة التى تؤثر تأثيراً حقيقياً فى التغير العلمى، إنها تجعل علمنا أقل قابلية للتكيف وأكثر دوجماطيقية[٢]

من هذا المنطلق تصدى "بول فيرابند" لمقولات فلسفة العلم الحديثة التى تقطع الصلة بين العلم والقيم، وذهب إلى القول بأن التقدم العلمى يحدث نتيجة تفاعل وتداخل العلم مع المعارف الأخرى وخاصة القيم، ومن ثم يمكن الاتفاق مع بول فيرابند فى القول بأن العلم ليس كتاباً مغلقاً لا يمكن فك طلاسمه، بل على النقيض، نستطيع فك طلاسمه، ولكن فى ضوء الممارسة واكتساب الخبرات الكثيرة، وهذا يشير بالضرورة إلى اعتبار العلم قصة من اللاحدية التى أشارت إليها الفلسفة النسوية.

هكذا بدا لنا من خلال حديثنا عن الموضوعية أن منهج الموضوعية القوية عند "هاردنج" يعمل عند مستوى المجتمع العلمى المكون من أفراد مختلفين دينياً وسياسياً واجتماعياً وأخلاقياً وثقافياً واقتصادياً ... إلخ. وإن نتيجة هذا ربما تكون أن منهج الموضوعية القوية ربما يحدث بشكل عضوى، بدلاً من الاعتماد على علماء فردانيين. ولا يعنى ذلك أن العلماء الفردانيين غير حاسمين فى توظيف منهج الموضوعية القوية، ولكن نؤكد أن بناء وتركيب المجتمع العلمى يمكن أن يسهل منهج الموضوعية القوية أكثر من التركيز على العلماء الفردانيين. ومن هنا فإن نظرة

---

(١) بول فيرابند: ضد المنهج، ترجمة د. ماهر عبدالقادر، الإسكندرية، ٢٠٠٥، ص ٣٣.

(٢) آلان شالمرز: نظريات التعلم، ترجمة الحسين سحبان وفؤاد الصفا، دار توبقال للنشر، ط١، المغرب، ١٩٩١، ص ١٣٤- ١٣٥.

"هاردنج" تمدنا بمفتاح للقضية بخصوص أهمية النظر ليس فقط للعلماء الفردانيين، لكن بالنظر أيضاً إلى المجتمعات التى يمارسون فيها وذلك لإثراء وتحصين مفهومنا عن الموضوعية.

٢- الموضوعية الديناميكية عند إيفيلين فوكس كيلر

إن وجهات نظر "كيلر" فى الموضوعية تركز فى المقام الأول على كيفية تناول العلماء للبحث ورؤية مدى ارتباطها بسياق الكشف. لكن "كيلر" ترى أن الكشف والتبرير مرتبطين بشكل معقد، وتستنتج أن القيم والاهتمامات والأيديولوجيا فى المناهج العلمية وأساليب التعامل مع البحث تهمنا فى تبرير النظريات. وذلك لأنها تعتقد أن النظريات يتم اختيارها فى أفضل أشكالها مرتكزة فى ذلك على كيفية اتساق النظريات، وأيضاً مدى تضمنها للتوقعات الأيديولوجية والعاطفية[١]. كما تشير "كيلر" إلى أن النظريات التى لا تتسق مع هذه التوقعات الأيديولوجية والعاطفية لن تتطور بشكل كاف حتى يمكن اعتبارها من النظريات المنافسة. لذا تركز "كيلر" على مدخل هذا الموضوع الذى يتناوله الباحثون، كما أنها تعتقد أن هذا سوف يشكل تبرير النظرية.

الموضوعية الديناميكية: Dynamic Objectivity

اقترحت "كيلر" نموذجاً آخر كبديل للنموذج العلمى الذى أسسه الذكور، مشتقاً من نظرية ماكلينتوك عن النموذج العلمى. ولاحظت أثناء مناقشتها لهذه النظرية أن ماكلينتوك تهدف إلى إقامة علم لا يقوم على أساس القطيعة والمطلق والهيمنة على الطبيعة، إنما يقوم على أساس تحويل الرؤية الإبداعية فى العلم نفسه إلى رؤية نسوية[٢]. غير أن "كيلر" تقوم بأكثر من مجرد وصف لمنهج ماكلينتوك، فهى ترسم لنا مفهوم الموضوعية فى العلم الذى يقوم على الحب والمودة وتفتح الذهن.

---

(1)**Keller, Evelyn Fox: Reflections on Gender and Science, New Haven and London: Yale University Press, 1985, P.126.**

(٢) خديجة العزيزى : الأسس الفلسفية للفكر النسوى الغربى، مرجع سبق ذكره، ص١٢٦.

نظرية العلاقات الموضوعية Object Relations Theory

إن مفهوم "كيلر" عن الموضوعية يقوم على نظرية العلاقات الموضوعية التى طورها علماء النفس، والتى تم تعديلها بعد ذلك لأهداف نسوية من قَبل "نانسى تشودرو" **Nancy Chodorow** و"كيلر" و" جين فلاكس" **Jane Flax** .

إن العلاقات الموضوعية هى مجموعة من النظريات التى تفترض أن العلاقات التى تبدأ بعلاقة الأم بطفلها تكون مرتبطة بتكوين احساس بالهوية الشخصية والنوع **Personal Identity and Gender** .

فبالنسبة لواضع نظرية العلاقات الموضوعية، فإن علاقات الطفولة تشكل هوية الطفل الشخصية ونوعه، بما فى ذلك إحساسه بذاته. وأيضاً فى معظم النماذج التقليدية للرعاية الأسرية، فإن الأمهات هم المصدر الرئيسى لرعاية الأطفال، فى حين أن الآباء يلعبون دوراً أقل أهمية فى التغذية مثلاً، وتوفير الرعاية الشاملة للأطفال. واعتماداً على هذا النموذج من الرعاية الأسرية، فإن واضعى نظرية العلاقات الموضوعية النسوية يظهروا أهمية هذا الكيان الأسرى فى الإسهام فى تكوين الهوية الشخصية والنوع الذى يتطور عند الأولاد والبنات[١].

ووفقاً "لنانسى تشودرو" والتى يشكل عملها الأساس لآراء"كيلر" فإن الأطفال يقدرون مفهوم الذات والآخر **Self and Other** من خلال علاقاتهم مع الأب والأم. وتشير "تشودرو" أن الطفل يطور حسه بالذات بشكل أساسى من خلال العلاقة بوالدته، رغم أن الأب (الذى يظهر أنه بعيداً نوعاً ما) يؤثر فى هذا التطور أيضاً. وهذا يحدث بشكل جزئى، وذلك لأن الطفل يعتمد من الناحية الجسمانية والعقلية على والدته ويستطيع تعريف نفسه كشخص بشكل أساسى من خلال هذه العلاقة القريبة (جسمياً وعاطفياً). ولكن مع نمو الطفل يدرك بسرعة أنه منفصل عن أمه، رغم

(1)Chodorow, Nancy: The Reproduction of Mothering, Berkeley, CA: University of California Press, 1999, P. xv – xviii

اعتماده عليها بشكل كلى تقريباَ. ولكل من الأولاد والبنات، فإن العلاقة بين الطفل والأم تكون مليئة بالإثارة، وذلك لأن الطفل يبدأ فى أن يدرك أنه قد انفصل عن أمه[١]. ومع ذلك، فإن هذا الإدراك لذاته يكون مصدر سعادة له، ولذلك يدخل فى صراع بين كونه قد انفصل عن أمه وأنه ما زال معتمداً عليها[٢].

وهناك عدم توافق فى علاقة الطفل بأمه، وذلك لأن الأولاد ليس لديهم نفس مستوى الراحة مع الأمهات والتى تجدها البنات. وتؤكد "تشودرو" أن البنت يمكنها أن تكوَن الاحساس بالذات بشكل فعال عندما تقول لنفسها " أنا مثل أمى" وتتشكل هوية النوع لديها جزئياً عند التعرف على مظاهر الشبه مع أمها على تشكيل احساس الذات وحتى تطورها وادراكها لانفصالها يتكون على أساس العلاقة القريبة مع أمها . وكما توضح "تشودرو"، فإن البنات من مرحلة مبكرة جداً وبسبب تربيتهم من شخص من نفس النوع فإنهم يتعرفون على هويتهم المتشابهة مع أمهاتهم بشكل مختلف عن الأولاد بشكل أكبر من العالم الخارجى[٣].

أما بالنسبة للأولاد فتخبرنا "تشودرو" قصة مختلفة، فالولد ينظر إلى أمه ويدرك أنه ليس مثلها، ومن هنا يتطور حس الذات وبعده عن ما يميز أمه، بالاهتمام والتغذية والسلوك المراقب لهم، فإن الأولاد ينسجمون مع أمهاتهم فى تكوين إحساسهم بالذات، وبعد ذلك يرفض الأولاد هذه الخصائص ويعرَفون أنفسهم كمنفصلين بعيداً عن الرعاية والتغذية. وتذكر "تشودرو" أن هذه النتائج عن الأولاد تعرفهم كمنفصلين ومميزين مع إحساس كبير بقوة الآنا **ego** من حيث الحدود والتمييز[٤].

---

(1)**Ibid, P.69-70.**
(2)**Keller, Evelyn Fox: Reflections on Gender and Science, op. cit, P.81**
(3) **Chodorow, Nancy: The Reproduction of Mothering, op. cit, P.166-167.**
(4)**Ibid, P. 169.**

وتقترح "كيلر" أن معظم ما هو مشترك بيننا يشير إلى أن أمهاتنا هن من أمدونا بالمحتوى العاطفى الذى به يُزال التمييز بين الذات والآخر، والذى يؤدى إلى مفاهيم مغلوطة عن النوع. وتذكر "كيلر" أن خبراتنا بالدمج **Merging** أو التواصل سوف تكون لها علاقة بالأم، فى حين أن أى فصل سيكون متصل بأى أحد غير الأم والذى هو بالطبع الأب. وكما تقول "كيلر" فإن الأب هو الذى يرمز للتمييز والاختلاف والذى يمثل أيضاً الحقيقة الموضوعية للعالم الواقعى حولنا(١).

وبالنسبة إلى "تشودرو" و"كيلر" فإن المعنى الأساسى لكل ما هو أموى أو نسوى **Feminie** يصبح على علاقة بالعالم المحيط. أما ما له علاقة بالأب يكون منفصلاً عن هذا العالم(٢). لذا فأحد النتائج الرئيسية للعلاقة النفسية بين الأولاد وأمهاتهم وآبائهم هى أن النساء يشعرون بالتواصل الحدسى مع الآخرين، فى حين يفضل الرجال الاستقلالية ويشعرون بعدم الارتياح لو تم تهديد هذه الاستقلالية(٣).

الاستقلالية والموضوعية Autonomy and Objectivity

إن تطور الذات غالباً ما يفهمه علماء النفس كبادرة لتطور الاستقلالية، لذا توسع " كيلر" مناقشتها بتحليل الاستقلالية وربطها أخيراً بالموضوعية. ولتتبع مناقشتها من الضرورى تعريف بعض المصطلحات المتعلقة بذلك، وللتمييز بين ما تشير إليه من أشكال الاستقلالية والموضوعية الثابتة والديناميكية .

(1) **Keller, Evelyn Fox: Reflections on Gender and Science, op.cit, P.85-86.**
(2)**Chodorow, Nancy: The Reproduction of Mothering, op.cit, P.169**
See also : Keller, Evelyn Fox: Reflections on Gender and Science, op.cit, P.88-89.
(3)**Ibid, P. Preface viii.**

تعرف " كيلر" الموضوعية بأنها " المصطلح الذى يشير إلى المعنى النفسى لكونك قادراً على التصرف بناءاً على إرادتك الشخصية بدلاً من السيطرة الخارجية **external control**[١].

وتشير "كيلر" أن هذا لا يعنى أن أفعال وتصرفات الفرد لا تتأثر بالآخرين، أو حتى لا تحتاج للآخرين، ولا أن اكتساب الاستقلالية ينتج عنه استقلالية أساسية عن الآخرين. وتعتقد " كيلر" أن أى فهم أو تعريف غير دقيق للاستقلالية ينتج من الإصرار على الفصل التام والاستقلالية عن الآخرين كشرط ضرورى للاستقلالية الحقيقية : وهذا ما تسميه " كيلر" الاستقلالية الثابتة **Static Autonomy**، وعلى النقيض، فإن "كيلر" تصف هذا النوع من الاستقلالية الديناميكية الذى ينتج من فهم أن الإنسان يمكن أن يكون لديه حس بالقدرة على التصرف بناءاً على إرادته الخاصة به دون أن ينفصل أو يستقل عن الآخرين. هذا النوع تسميه " كيلر" الاستقلالية الديناميكية **Dynamic Autonomy** والذى يمثل الفهم الأكثر ملائمة للاستقلالية عند " كيلر" . فالفرد يستطيع أو ينبغى عليه أن يكون استقلالياً حتى لو أُخذ فى اعتباره الآخرون فى عملية اتخاذ القرار: وهذا يعنى أن الإنسان يستطيع أن يكون لديه حس القدرة على التصرف بناءاً على إرادته دون التجاهل التام للآخرين، أو بدون الادعاء بأنه لا يوجد آخرون نأخذهم فى الاعتبار.

وتذكر " كيلر" أن الموضوعية مثل الاستقلالية لا تحتاج أن تتأصل فى انفصال الفرد أو السيطرة على العالم. ولكى تكون موضوعياً من وجهة نظر " كيلر" يعنى أن الإنسان يدرك أن العالم مستقل عن رغبات الفرد حول العالم، وتعرف " كيلر" الموضوعية بشكل واضح " كمسعى مصدق به بشكل كبير . ولذلك يمكن الاعتماد عليه فى فهم العالم من حولنا، وما يفعله الشخص فى العلم هو تمييز بين الموضوعية الثابتة والموضوعية الديناميكية[٢].

---

(1)**Keller, Evelyn Fox: Reflections on Gender and Science, op. cit, P.97**
(2) **Ibid, P. 116- 117.**

الموضوعية الثابتة **Static Objectivity** هو المصطلح الذى تقدمه "كيلر" لموضوع فهم العالم لفكرة أن العالم لابد أن يتم السيطرة أو بسط السيادة عليه لكى يتم فهمه، وهذه السيادة تتطلب مسافة أو انفصال عن موضوع الدراسة. أما الموضوعية الديناميكية **Dynamic Objectivity** هو المصطلح الذى تقدمه "كيلر" كمنهج لفهم العالم، والذى يقوم على فكرة أن الإنسان يستطيع أن يحسن استغلال التواصل مع موضوع الدراسة، بالإضافة على كونها خبرات شخصية وذاتية لإثراء معرفة الشخص بالعالم الفيزيائى والطبيعى.

ومن وجهة نظر "كيلر" أن العالِم الذى يعمل بناءاً على أن مفهوم الموضوعية مفهوم ثابت يحاول أن يفصل نفسه عن العالم ليفهمه بشكل أكثر شمولية، ولا يدمج **immerse** نفسه فى هذا العالم[١]. ولجعل التواصل مع نظرية العلاقات الموضوعية واضح يحاول هو أو هى أن يحاكى أو يتقمص دور الأب الذى يمثل الحقيقة الموضوعية فى انفصاله واستقلاليته عن الطفل.

إن الاتصال بين الموضوعية والاستقلالية عند "كيلر" هو ببساطة أن هؤلاء الباحثون الذين طوروا معانى ثابتة للاستقلالية هم من المحتمل موضوعيين بشكل ثابت، فى حين أن الذين طوروا معانى ديناميكية أو تفاعلية للاستقلالية هم من المحتمل موضوعيين بشكل ديناميكى . إن تطور الاستقلالية متصل بشكل مباشر بتطور كيف يتعقل ويدرك الفرد مفهوم الموضوعية.

وطبقا لكيلر، فإن الباحث الموضوعى بشكل ديناميكى يتتبع المعرفة اعترافاً بكل من الاستقلال عن العالم حولنا – والذى يوجد منعزلاً عن ما نقوله عنه . وحقيقة أن معرفتنا بالعالم تتطلب منا أن نندمج مع هذا العالم. وتذكر "كيلر" أن هذا النوع من العاطفة تجاه الآخرين والذى يتضمن تخيل ما سيكون عليه هذا الشخص. وكما توضح "كيلر" العاطفة تجاه الآخرين، فإننا نرسم بشكل واضح المشاعر والخبرات لإثراء فهم ما عليه الأشخاص الآخرين[٢].

---

(1) **Ibid, P. 117.**
(2) **Ibid, P,117.**

هنا تعزز "كيلر" فكرة الموضوعية التى لا تركز كثيراً على استقلالية العالم عنا، لكنها تركز على ما يحدث عندما يحاول الشخص فهم العالم وذلك بالتواصل معه. فعندما نسعى لفهم الناس الآخرين يجب أن نضع أنفسنا مكانهم، ونحاول أن نعقد تواصل مع ظروفهم، وبالمثل فإن "كيلر" تقول أننا عند محاولة فهم العالم، ينبغى ألا نعتمد على استقلاليتنا أو الانفصال عن العالم، ولكن على مدى تشابهنا واتصالنا به. وهذا يبدو جلياً فى وصف "كيلر" للجهود التى قامت بها باربرا ماكلينتوك **Barbara McClintock** لإثبات نظرية الانتقال الوراثى، وهى مدعمة بأمثلة تجعلنا نفهم الطريقة المجازية فى الكلام لكيلر.

يتضح مما سبق أن مفهوم الموضوعية عند" كيلر" مفهوم مرتبط بالمفهوم السيكولوجى الذى يؤخذ على أنه مفهوم الضبط والتحكم فى أفعال الذات نحو الموضوع، ويساعد على تطوير الذات، ويربط الفواصل بين الذات والآخرين، وترى "كيلر" من خلال هذا أن الذى أحدث الفواصل هو المفهوم الذكورى بما يستخدمه من آليات قمعية صرف من أجل خضوع الآخر إلى كافة رغباته، وفى هذا تقرر "كيلر" أن الموضوعية الاستاتيكية لا تفى الغرض المطلوب، وهذا ما دفع "كيلر" إلى اعتبار موضوعية أخرى أطلقت عليها اسم الموضوعية الديناميكية، والتى اعتبرتها كنموذج بديل للموضوعية التقليدية فى الأبحاث العلمية، والتى ترى أنها سوف تساعد العلماء على تقديم إجابات لمشكلاتنا العلمية والابستمولوجية، حيث أن الموضوعية الاستاتيكية تعوق العلماء عن المعرفة الكاملة لموضوعات الدراسة.

٣- الموضوعية عند هيلين لونجينو

إن المشكلة الجوهرية التى تتعلق بالموضوعية فى العلم كما تراها "هاردنج" هى أنه بناءاً على المفاهيم التقليدية للموضوعية، فنحن غير قادرين على كشف وتقييم دور الاهتمامات والقيم الشخصية والثقافية فى العلم. فلو أن الدور الذى تلعبه القيم والاهتمامات الشخصية والثقافية

اعُنبر سيئاً للعلم، أو كبيراً، فإننا نحتاج إلى طريقة ما للتخلص من هذا الدور، وبالتالى زيادة موضوعية العلم.

وتذكر "هاردنج" أنه يوجد منهج ما لكشف وتقييم الاهتمامات والقيم فى العلم وهو أن نفحصهما من وجهة نظر بديلة، كما أن المفاهيم الحالية للموضوعية غير مناسبة لهذه المهمة. وهذه هى نفس المشكلة التى تراها "هيلين لونجينو"، والتى تحاول أن تحلها ليس بجذب الانتباه إلى ما يفعله العلماء الفردانيين – رغم أنه بالتأكيد جزء من العملية – ولكن بكيفية تصرف المجتمع العلمى. حيث ترى "هيلين لونجينو" أن العلم موضوع اجتماعى، بمعنى أن التعامل مع العلم يتطلب تفاعل الأفراد.

إن الفكرة القائلة بأن الممارسة العلمية هى ممارسة اجتماعية، وأن المجتمع ينتج لنا معرفة علمية تعتبر فكرة أساسية فى آراء "هيلين لونجينو" عن الموضوعية. حيث تقول "هيلين لونجينو" أن العلم بوصفه ممارسة اجتماعية يتضمن كلا الإدعائين القوى والضعيف. فالادعاء القوى يقول أن العلم بالضرورة ممارسة اجتماعية وأن الأفراد فقط هم الذين يمكن أن يكون لديهم معرفة علمية منبثقة عن ما يعرفه المجتمع العلمى بالفعل. أما الادعاء الضعيف فهو أن العلم موضوع اجتماعى فقط بشكل احتمالى، وأن التعليم المستمر والمكثف، والمهارة التقنية، والاعتماد على خبرة الآخرين المطلوبة للتعامل مع العلم الحديث يجعل العلم بشكل أساسى وضرورى مسعى اجتماعى.

من ثم سوف أقدم بعض الأسباب التى تجعل "هيلين لونجينو" متحمسة للتفكير فى العلم كعملية اجتماعية بالضرورة، ولماذا ينظر إليه الآخرون كموضوع اجتماعى بشكل ملائم. ثم نظرتها حول كيفية مساعدة الطبيعة الاجتماعية للعلم فى زيادة موضوعية العلم.

١- العلم ضرورة اجتماعية :

تقدم "هيلين لونجينو" بعض النقاط الهامة عن الطبيعة الاجتماعية للعلم. ولسبب ما، فهى تلاحظ أن العلماء يعتمد كل واحد منهم على الآخر بشأن الأفكار، الأدوات، والمناهج التجريبية

المحددة، بالإضافة إلى القبول العام لآراء كل منهم الآخر بشأن العالم الطبيعى. وبالإضافة إلى ذلك، فإن التعليم يتطلب لكى تصبح عالماً أن يتم تقديم الفرد للمجتمع بكل اجراءاته وتقاليده الخاصة. وفى النهاية، تلاحظ أن وجود المجتمع العلمى يعتمد وبشكل كبير على مجتمعنا الأكبر مقدراً ما يقوم به العلماء(١).

كما ترى "هيلين لونجينو، أن المعرفة العلمية تنشأ من عملية تتطلب التعديلات والنقد والانتباه المقترحة من الأفراد الآخرون. وأبعد من ذلك، فهى تلاحظ أن المعرفة العلمية هى نوع خاص من المعرفة لا يمكن بشكل صحيح أن يسمى "علمى" إذا لم ينشأ من نوع التداخلات الاجتماعية المعقدة التى تميز المجتمع العلمى، وتشير إلى نقد النظير **Peer review** كدليل على الطبيعة الاجتماعية للعلم. وتفترض أن نقد النظير هو الحارس الذى يحدد أية بحث سوف يتم تمويله، وأية أوراق بحث سوف يتم نشرها فى صحف مهنية ، وما الذى يعتبرها معرفة علمية(٢).

ورغم أن هذه النقاط تبدو واضحة، فهى تخدم كأساس لادعاء "هيلين لونجينو" الأقوى بشأن الطبيعة الاجتماعية للعلم. وتصَر "لونجينو" أن العلم بالضرورة ممارسة اجتماعية، وأيضاً معرفة علمية يمكن ربطها بمجتمع العارفون. فالأفراد يمكن أن يكون لديهم معرفة علمية، وذلك فقط لأنهم جزء من مجتمع علمى كبير لديه هذه المعرفة. وبشكل أكثر تحديداً فإن "هيلين لونجينو" تعتقد أنه هناك مظهرين للعلم، حيث تأتى القيود المعيارية من تفاعل العلماء، وليس من العلماء الفردانيين: هذه المظاهر هى التفكر: **reasoning** والملاحظة العلمية . وتفترض "هيلين

(1) **Longino, Helen: Science as Social knowledge, Princeton: Princeton University Press, 1990, P.67**
(2) **Ibid, P. 68-69.**

لونجينو" أن كلاً من الملاحظة والتفكر العلمى يتضمنا تفاعلاً بين أصوات مختلفة تكون اجتماعية بهذا المعنى[١].

وبالإقرار بالنظرة إلى أن العلم اجتماعى بالضرورة، فإن "هيلين لونجينو" لا تنكر أن الإسهامات الفردية قد أصبحت حاسمة فى تطور المعرفة العلمية ، غير أن ما يجعل الأفكار العلمية اللامعة لمعرفة العلماء الفردية هى أن أفكارهم قد قاومت فحص ونقد الآخرين. وتلاحظ " لونجينو" أيضاً أن جاليليو، ونيوتن، وداروين وأينشتين كانوا جميعهم ألمعيين، لكنها تقول " إن ما جعل أفكارهم اللامعة تكون معرفة هى عمليات التلقى النقدى **Processes of Critical reception**، مقارنة مصير أفكارهم بأفكار أحد المفكرين الآخرين المتساو فى القدرة العقلية[٢].

من ثم يمكن القول بأن "لونجينو" ترى أن المعرفة العلمية تتطلب التفكر الذى يتطلب نوع من الصلاحية والتى لابد أن تأتى من المجتمع العلمى، وليس فقط من الصلاحية الفردية لأفكار الفرد. بذلك فإن "هيلين لونجينو" لم تنكر أهمية إسهامات العلماء الفرديين، لكن لابد من صلاحية إضافية من المجتمع العلمى، صلاحية تراها ناتجة عن تلبية تحديات معينة.

وبناءاً على اعتبارات تخص الطبيعة الاجتماعية لكل من الملاحظة العلمية والتفكر العلمى، تقول "هيلين لونجينو" أن العلم بالضرورة اجتماعى. وهذا ادعاء قوى لأنه ينكر أن الأفراد يمكن أن يكون لديهم معرفة علمية موجودة لدى المجتمع العلمى. فالمعرفة العلمية لا يمكن فهمها فى ضوء عمليات عقلية فردية، وذلك لأن هذا بمفرده لن يتضمن التفاعل الاجتماعى بين الآخرين والذى يمدنا بالقيود المعيارية على الملاحظة والتفكر فى العلم. لذلك فإن " لونجينو" ترفض

(1) **Longino, H: The Fate of knowledge, Princeton, NJ: Princeton University Press, 2002, P.99.**
(2) **Ibid, P. 122.**

الفكرة القائلة " بأن العلم هو تراكم لمعارف الأفراد **accumulation of individual's Knowledges** [(١)]. ومن ثم يمكن القول بأن "لونجينو" تتفق فى تلك الرؤية مع بعض فلاسفة العلم المعاصرين أمثال "كارل بوبر" و "توماس كون" و "بول فيرابند" الذين رفضوا الصورة التراكمية لتاريخ العلم والقول بأن العلم تراكمى[(*)].

٢- العلم كعملية اجتماعية محتملة:

إن القول الضعيف بخصوص الطبيعة الاجتماعية للعلم هو أنه اجتماعى بشكل محتمل. وهذه النظرة تنبثق من حقيقة أن العلم الحديث يتطلب تعليم مستمر ومكثف، ومهارة تقنية، واعتماد على خبرة الآخرين، ولذلك فهو بالأحرى مسعى اجتماعى. وهذا الادعاء الضعيف لا ينكر أن الأفراد يمكنهم الحصول على معرفة علمية بأنفسهم – خارج المجتمع العلمى – ولكن يؤكد على عدم الاحتمالية التطبيقية للممارسة العلمية الحالية إذا تمت بهذا الشكل.

٣- الوجه الاجتماعى للعلم وزيادة الموضوعية:

تعتقد "هيلين لونجينو" أن الشكل الاجتماعى للعلم يحل مشكلة الافتراضات التى تميز قيمنا واهتماماتنا الشخصية والثقافية. كما تعتقد أنه إذا لم يتم مراجعتها والتأكد منها فإن هذه القيم والاهتمامات سوف تهدد موضوعية العلم. فلو فكرنا فى العلم كمجموعة من الأفراد الذين ينتجون

---

(1) **Longino, H: Science as Social knowledge, op. cit, P.231**

(*) حول هذه الرؤية انظر فى ذلك :

- توماس كون: بنية الثورات العلمية، ترجمة شوقى جلال، عالم المعرفة، المجلس الوطنى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد ١٩٩٢،١٦٨ ، ص٣١.
- **Kuhn T: Logic of Discovery or Psychology of Research, in: I, Lakatos & A. Musgrave, Criticism and The Growth of Knowledge, Cambridge University Press, 1970, P.1-2**
- **James Conant and John Haugeland Editors' introduction in Thomas Kuhn, The Road Since Structure: Philosophical Essays, 1970-1993, With an Autobiographical interview, (ed) By James Conant & John Haugeland, Chicago, The University of Chicago Press, 2000, P. 1**

المعرفة فقط – ولو تجاهلنا المكون الاجتماعى الثابت للمعرفة العلمية – فنحن نخاطر بعدم قدرتنا على التحكم فى التقليل أو الحد من تأثير التفضيلات الشخصية الفردية[١].

وبهذه النظرة، فإن زيادة الموضوعية تصبح أحد مهام المجتمعات العلمية وليست مهمة الأفراد، وذلك لأن "هيلين لونجينو" ترى أن النقد البين ذاتى يُمثل ركيزة أساسية لعملية زيادة الموضوعية، ولا يمكن أن يحدث فى مجتمع الفرد الواحد. فالتحول الفلسفى يحدث فى التركيز على العلم كممارسة اجتماعية يقوم بها أفراد يعملون فى تناغم وتناسق وليس أفراد يعملون باستقلالية عن زملائهم. ومن ثم ترى "لونجينو" أن الموضوعية تعتبر عمل لممارسات الجماعة وليست موقف للباحثين الفردانيين تجاه موضوعهم[٢].

يتضح مما سبق أن "لونجينو" قد ساهمت مساهمة كبيرة فى نظرية المعرفة النسوية، حيث أبرزت الأبعاد الاجتماعية وتأثيرها على البنية الابستمولوجية للعلم، حيث وجهت الأنظار إلى الدور الذى تلعبه القيم الذاتية والاجتماعية والثقافية فى العلم، وهى بهذا أرست دعائم الاتجاه النسوى فى فلسفة العلم الذى كان الضد الصريح للاتجاهات الوضعية والتقليدية فى فلسفة العلم.

هكذا بدا لنا من خلال الحديث عن الموضوعية فى فلسفة العلم النسوية أن النقطة الجوهرية عند أصحاب الاتجاه النسوى هى دراسة المعرفة بكافة فروعها العلمية والاجتماعية والطبيعية والتى تسمح باستقرار مجموعة من القيم المعرفية داخل الأبنية الإبستمولوجية .

(1) **Longino, H: Science as Social knowledge, op.cit, P.216**
(2) **Ibid, P.216**

وفى النهاية يمكن تلخيص مفهوم الموضوعية فى فلسفة العلم النسوية فى النقاط التالية:

١. يرى أصحاب الاتجاه النسوى أن فلسفة العلم التقليدية تبالغ فى ادعاء الموضوعية، حيث أن فلاسفة العلم التقليديين كثيراً ما يربطون نجاح العلم بقدرة العلماء على السيطرة على الطبيعة وإذلالها، بينما يربطه النسويون بقدرة العلماء على الاستماع إلى صوت الطبيعة والإصغاء إلى ما تبوح به طوعاً ومن غير إكراه ومن شأن العلم الذى يستند إلى شهادة الوقائع العينية ويصغى إلى ما تقوله الطبيعة أن يستخلص نظرية مجردة أكثر اقتراباً من الواقع وأن يكون أكثر موضوعية من العلم الذى لا يصغى.

٢. إن الموضوعية بمعناها التقليدى لم تهتم سوى فقط بتحقيق أكبر قدر من المثالية المحايدة لكل من الباحث والبحث العلمى على حد سواء، فمثالية وحيادية العالم وانفصاله عن الواقع الاجتماعى بكل أهوائه وإشكالياته هو السبيل الوحيد لضمان بحثاً علمياً موضوعياً، لكن هذه الموضوعية بحاجة لتقويتها من خلال مبادئ ومعايير فلسفة علم ما بعد الاستعمارية، فالموضوعية القوية فى ظل هذه المبادئ ستضمن لنا علاقة جذابة بين العلوم الطبيعية والاجتماعية.

٣. تبحث الموضوعية القوية العلاقة بين الذات والموضوع، وترفض بشكل أساسى القطيعة بينهما وتقر بوجود علاقة قوية تربط الموضوع بالذات، وهى بذلك تختلف عن الموضوعية الضعيفة الأحادية الجانب، وتختلف عنها أيضا ًبإقرارها ضرورة معرفة الأسباب التاريخية للأفكار.

٤. داخل الموضوعية القوية يكون تركيز موضوعات العلم على المجتمعات المهملة والبشر المهملين، من أجل أن تتضمن أصوات هؤلاء الذين أهملوا والإستفادة من طاقاتهم ومواردهم.

٥. ترى النسوية بصفة عامة الموضوعية فى السياق الاجتماعى والثقافى والسياسى، وفى هذا اختلاف كبير عن الموضوعية التقليدية التى كانت ابستمولوجية صرف.

٦. تركز الفلسفة النسوية على سياق الكشف الذى يمثل كل ما هو جديد وثورى، ففلسفة العلم التقليدية لا تحوى بداخلها سوى السياقات التبريرية حيث اختبار الفروض والتركيز بشكل جوهرى على منطق البحث العلمى.

٧. إن قيمة الموضوعية، من وجهة نظر الاتجاه النسوى، تكمن فى وضع الذات العارفة فى الاعتبار، وهذا يتطلب تحليلاً تجريبياً دقيقاً للادعاءات المعرفية للذات العارفة ووضع القيم المعرفية لهذه الذات موضع اهتمام وتقدير.

٨. لقد نصبت المنظرات النسويات القيم والاهتمامات السياسية والأخلاقية أن تكون مسئولة عن النظريات والمناهج وتفسيرات البحث العلمى، وتظهر هذه الاهتمامات فى أبحاث المشروعات العلمية الأخرى على أنها شاملة للعلم، مما يساعد الأبحاث العلمية والثقافية والاجتماعية والإقتصادية فى شد أزرها على أن تكون نموذجاً مثالياً.

٩. إن النقد النسوى فى فلسفة العلم يتجه إلى نقد أشكال السلطة المعرفية بكل أشكالها كالعقلانية والموضوعية والصدق والمناهج العلمية الثابتة والواضحة بذاتها والمتميزة، تلك السلطات المعرفية التى سادت الحقبة الحديثة، وكانت تهدف إلى وضع نسق منهجى عقلى صارم يقوم بإضفاء الموضوعية على العلم والإيمان بالعالم الطبيعى الميكانيكى بوصفه المصدر الرئيسى للمعرفة العلمية الموضوعية الصحيحة.

١٠. النظرية النسوية المتعلقة بالعلم تهدف إلى العثور على بحث يتجنب كافة الإنحيازات الثقافية شريطة أن تكون هذه النظرية قادرة على مساعدة العلماء على تفسير الظروف الاجتماعية داخل كلاً من المؤسسات العلمية والمجتمع المحيط.